

الأمير عبد القادر الجزائري مؤلفا  
- دراسة تحليلية لفكر الأمير من خلال أهم  
مؤلفاته -

أ.ة. مهيبيل إسمي  
جامعة الجزائر

## ١- مؤلفات الأمير عبد القادر الجزائري:

خلف الأمير عبد القادر عدة آثار نذكر منها:

أ- وشاح الكتائب وزينة العسكر المحمدي الغالب: وهي عبارة عن رسالة تضم مجموعة القوانين والضوابط التي وضعها الأمير لتنظيم جيشه، وقد قام بجمعها أحد كتاب جيش الأمير قدور بن رويلة ثم أعطاها هذا العنوان، وتدل هذه الرسالة على ما كان للأمير من خبرة في أمور الحرب وتنظيم الجيوش<sup>(١)</sup>.

ب- "جواب سؤال عن الراكنين إلى الكفار ومسائل الجهاد": وهو عبارة عن إجابات الأمير عن أسئلة بعض الأعيان ممن سألوه عن الراكنين إلى الكفار، ويوجد على شكل مخطوط، جاء في أوله: "هذا جواب فريد العصر وخاتمة علماء القرى والمصر، حامل لواء الفروع والأصول، الجامع بين علمي المعقول والمنقول، مولانا أمير كافة المؤمنين، ومقدام أبطال كتائب المجاهدين لمن سألوه عن الراكنين إلى الكفار فأجابه مسرعاً خوفاً من العزيز القهار، حسام الدين لقطع شبه المرتدين..."<sup>(٢)</sup>.

ج- تعليقات على حاشية جده السيد عبد القادر ابن خدة في علم الكلام<sup>(٣)</sup>.

د- الصافيات الجياد، وهو كتاب في الخيول العربية، تناول فيه محاسن الخيول وصفاتها<sup>(٤)</sup>.

ذ- كتاب المقرض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد<sup>(5)</sup>.

ر- كتاب ذكرى العاقل وتنبية الغافل<sup>(6)</sup>.

هـ- كتاب مذكرات الأمير عبد القادر<sup>(7)</sup>، وهو عبارة عن سيرة ذاتية للأمير، كتبها في السجن سنة 1849، ويطلق عليه اسم المذكرات تجاوزاً، لأن جزءاً صغيراً فقط من الكتاب هو الذي يصح أن يطلق عليه اسم المذكرات، وهو الجزء الذي اقتص بحياة الأمير الذاتية والعائلية والجهادية، ويضم الفصل الأول من الكتاب الذي يحتوي على اثني عشر صفحة من المخطوط، تناولت نسب الأمير ودراسته وشيوخه، ثم الفصل الرابع، ويحتوي على ثمانين صفحة غطت حياة الأمير منذ حجته الأولى حوالي 1828 إلى هزيمته سنة 1847 واعتقاله، بينما ضمت الفصول الأخرى معلومات عامة عن تاريخ الإسلام والأنبياء والعرب والمسلمين والبيزنطيين.

وهناك اختلاف بين الباحثين حول مؤلف هذه المذكرات، هل هو الأمير نفسه أو صهره مصطفى ابن التهامي، أو هما معاً، وإن كان من المرجح أنهما اشتركا في تأليفه<sup>(8)</sup>.

و- أجوبة الأمير على أسئلة الجنرال دumas حول المرأة العربية<sup>(9)</sup>. وقد افتتح الأمير بها عصر المناظرات بين الشرق والغرب حول القضايا الدينية، ونبين فيها وجهة النظر الإسلامية في قضايا المرأة موضعاً حقيقة المرأة العربية، في محاولة لتصحيح الصورة المشوهة



التي رسمها الأوروبيون لها، مبيّنا مكانة المرأة في الإسلام، ووضعها في ظل العادات العربية، حيث تناول موضوعات مختلفة تخص المرأة العربية كالْحجاب والزواج والطلاق وتعدد الزوجات والميراث واستشارة النساء، وكذلك موقفه من تعليم النساء<sup>(10)</sup>.  
ي- ديوان شعر الأمير عبد القادر الجزائري<sup>(11)</sup>، ويضم ديوانه أغراض الشعر المختلفة كالْفخر والحنين والفرزل والوصف والفروسية والمدح، وشعر التصوف والتوسل<sup>(12)</sup>.

II- دراسة تحليلية لفكر الأمير من خلال أهم مؤلفاته:

يعتبر كتاب "المقرض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد" الذي ألفه الأمير عبد القادر عندما كان معتقلاً بفرنسا سنة 1852، وكتاب "ذكرى العاقل وشبهه العاقل" الذي ألفه عندما كان مقيماً في بروسة سنة 1854، ثم كتاب "المواقف" الذي ألفه عندما كان مقيماً بدمشق التي عاش فيها من سنة 1855م حتى وفاته سنة 1883م، من أهم مؤلفات الأمير عبد القادر، وتعمّكس هذه المؤلفات التطور الذي حصل في فكره خلال كل مرحلة من مراحل حياته، وهو ما سنحاول إظهاره من خلال دراسة تحليلية لهذا المؤلفات الثلاث.

1- كتاب "المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد":

أ- أسباب تأليفه: ألف الأمير عبد القادر كتابه "المقراض الحاد" سنة 1852، عندما كان أسيراً في قصر أمبواز بفرنسا، وهو عبارة عن رسالة ردّ فيها على الطاعنين في دين الإسلام، ممن جهلوا فضائله أو عموا عنها، فجاء كتابه هذا - كما بين عنوانه - لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد.

ويبدو أنه كان طلب من الأمير وهو في أمبواز أن يؤلف كتاباً يُعرف فيه بالإسلام وتعاليمه، فقد أُعْثِرَ الأمير - في نظر رجال الفكر والأدب والسياسة الفرنسيين - نموذجاً للعقل العربي الإسلامي في القرن التاسع عشر، وهم الذين اغتتموا فترة اعتقاله بفرنسا ليتعرفوا على هذا العقل عن كثب، حيث يقول الأمير في مقدمة كتابه: "عندما طلب مني شرح عن معتقداتي الإسلامية، أجبتهم بأنني لا أصلح تلميذا لعلماء المسلمين، فضلاً أن أكون من جملتهم، ولكنني سأبذل الجهد" (13).

وكان ثمرة هذا الجهد تأليف كتاب "المقراض الحاد" الذي ترجم إلى الفرنسية في نفس سنة تأليفه (1852) (14).

ب- مواضيع الكتاب: التزم الأمير في تأليف كتابه "المقراض الحاد" - كما في مؤلفاته الأخرى كذكرى العاقل وتبويه القافل الذي سيأتي ذكره - بالمنهج العلمي في التأليف، من حيث إتباعه



أسلوب التقييم والترتيب والتصنيف والتبويب، وهو ما يدل على عقلية الأمير المنظمة ورحه العلمية<sup>(15)</sup>، حيث قسم كتابه "المقراض الحاد" إلى مقدمة وثلاثة أبواب، وقسم الأبواب إلى فصول، وذلك ليكون القارئ على بينة من أمر الكتاب قبل الشروع في قراءته، أما مواضيع الكتاب فهي: تعريف العقل وما يتعلق به، النظر في خلق السماوات والأرض والإنسان، إثبات النبوة وما يتعلق بها من تاريخ الرسل وحاجة الناس إليهم، الأخلاق الإسلامية منذ عهد آدم عليه السلام إلى عهد محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(16)</sup>.

ج- فكر الأمير من خلال كتاب "المقراض الحاد":

وأهم ما يمكن استخلاصه من أفكار الأمير في هذا

الكتاب ما يلي:

أ- دعوته إلى إعمال العقل ونبيذ الجهل والفرور: يعتبر الأمير أن العقل هو منبع العلم والمعرفة، وقد شرف الله به الإنسان، وجعله وسيلة سعاده في الدنيا والآخرة، لأنه وسيلة الإنسان للوصول إلى الحقيقة، وتسانده في ذلك الحواس<sup>(17)</sup>.

لذلك يدعو الأمير في كتابه إلى إعمال العقل في تحصيل العلوم والقيام بالأعمال النافعة، لأن من يفعل ذلك من الناس يكون - في نظر الأمير - شبيه بالملائكة، أما من يففل عن ذلك، يصرف قوته في إشباع شهواته "ياكل كما تاكل الأنعام،

ويعتدي على من هو أضعف منه طمعا بما في أيدي الآخرين فهو  
 في نظر الأمير - قد انحط إلى مرتبة الحيوان، حتى أصبح  
 كخنزير أو كلب عقور أو ثعلب مأكراً أو كشيطان رجيم<sup>(18)</sup>  
 كما يحذر الأمير من الجهل، لأنه يقف من المشكلات التي تفرض  
 الإنسان موقف العاجز، وكذلك من الغرور لأنه - في نظر الأمير  
 - نوع من أنواع الجهل<sup>(19)</sup>.

ويدعو الأمير للاستماع إلى الحق دون النظر إلى مظهر  
 صاحبه أو جنسه أو لونه، وهي دعوة تحريرية تدعو لإعمال العقل  
 للوصول إلى الحقيقة، لأن الحكمة ضالة العاقل يأخذها أينما  
 وجدت<sup>(20)</sup>.

## ج2- إثبات الألوهية وبيان الطريق إلى معرفة الله تعالى:

حاول الأمير أن يجمع كل البراهين الدالة على وجود الله  
 تعالى، فشرح الجسد الإنساني، وتناول موضوع الروح، ونظر في  
 آيات الله في الكون من شمس وقمر وكواكب وأنهار وبحار  
 وجبال وحيوانات ونباتات، وانتهج في ذلك أسلوب الاستدلال  
 والاستشهاد لفهم الظاهرة الكونية فهما صحيحا يوحي بعظمة  
 الخالق وإبداع خلقه، مما يؤدي إلى التصديق واليقين بوجود الله  
 تعالى<sup>(21)</sup>.

وينكر الأمير على بعض المسيحيين قولهم إن المسلمين لا يعترفون  
 بالأسباب، فالمسلمون يعترفون بها، وإنما لا يعترفون بقوتها



المجردة، بل بقوة مسبب هذه الأسباب وهو الله تعالى، لذلك كان كمال العقل عند الأمير، هو الذي "يفوص بعقله من المسببات إلى الأسباب إلى مسبب الأسباب" (22).

ولا يتم الوصول إلى الحقيقة العلمية - في نظر الأمير - إلا بتتبع جزئيات الظاهرة الكونية، والاستدلال على الحوادث بالأسباب، ولا يعترف بالتجيم كوسيلة للوصول إلى الحقيقة، فهو يعتبر أن من ادعى الإطلاع على الغيب بالنجم والقطع به فهو باطل، وأما إصابة النجم فهو اتفاقي (23).

وينتهي الأمير حديثه بإقرار مبدأ التوحيد لله تعالى "فاعل الكل، وصانع الجميع، واجب الوجود لذاته...حي بلا مزاج، فاعل في الأشياء بلا علاج، علة كل شيء صنعه ولا علة له، هو واحد في الذات والصفات والأفعال، غني في أفعاله عن الوسائط والأسباب" (24).

ج3- بيان فضل الأنبياء وموقف الإسلام من الأديان الأخرى: لم يضع الأمير الإسلام موضع الخصومة مع الأديان الأخرى، فهو ليس إلا امتداد للفكرة الدينية التي تمثلت قبله في اليهودية والمسيحية (25)، ولتوضيح ذلك ذكر الأمير ما ورد في التوراة والإنجيل من تبشير بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وما جاء من أنظر لمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام في القرآن (26).



وبين الأمير فضل الرسل، وأنهر رحمة من الخالق لمخلوقاته، لأن رسالتهم تأكيد لوجوده تعالى وإقرار بوحدانيته، وهداية الناس إلى سبل النجاة في الآخرة، فالعقل لا يهتدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة إلا بواسطة الرسل<sup>(27)</sup>.

ج4- بيان فضائل الإسلام الخلقية: خصص الأمير جزءاً من كتاب للحديث عن مآثر الإسلام الذي لم يترك خلقاً حسناً إلا وأمر به، ولم يترك خلقاً ذمياً إلا ونهى عنه<sup>(28)</sup>.

وقد وضع الأمير قائمة طويلة لأخلاق الإسلام، وركز على شيم الوفاء بالعهد، وصدق الوعد، وعلى أخلاقيات الحبر وما توجبه من حسن معاملة الأسرى، والتزام بالعهود والمواثيق<sup>(29)</sup>، وهو وإن كان يدفع بذلك عن الإسلام الشبهات التي رماها بها الطاعنون فيه، فإنه يشير إلى حسن معاملة للأسرى أثناء قيادته حرب الجهاد في الجزائر، والتزامه بالعهود والمواثيق التي عقدها مع أعدائه الفرنسيين، في حين خانوا العهد الذي وقعوه معه ليجعلوا منه أسيراً لديهم.

وعلى الرغم مما تعرض له الأمير من غدر ونكث بالعهد من طرف الفرنسيين، فإنه لا يتعصب، ولا ينكسر نصيب غير العرب من الفضيلة، لا سيما ما يتعلق منها بالوفاء والصدق، وإن كانت هذه الأمم لم تكن بهذه الشيم عناية العرب بها في جاهليتهم وإسلامهم على السواء، إذ يقول: "وباقى الأمم، وإن كانت تضي بالعهد

وتستقيج القدر والكذب، فالأمة العربية أكثر وأشد من جميع الأمم في ذلك، فإنهم في جاهليتهم كانت لهم نفوس زكية، وأخلاق مرضية، وأفعال كريمة، وهمم عظيمة، وعقول راجحة، وأراء ناجحة، وشرف عظيم، وأنفة من كل خلق ذميم، طبعوا على خصال الفضل و المروءة قبل أن تكون بينهم النبوءة<sup>(30)</sup>.

## 2- كتاب "ذكرى العاقل وتبئيه الغافل"<sup>(31)</sup>;

1- أسباب تأليفه: يعتبر كتاب "ذكرى العاقل وتبئيه الغافل" من أهم مؤلفات الأمير عبد القادر، وقد ألف الأمير هذا الكتاب سنة 1854م، أثناء إقامته في بروسة<sup>(32)</sup>، فكان من أبرز أعماله في مجال التدوين خلال الثلاث سنوات التي قضاها في بروسة قبل أن ينتقل إلى دمشق<sup>(33)</sup>.

وطبع الكتاب مرتين في حياة الأمير أولاها سنة 1858م، والثانية سنة 1877م، حيث قام المستشرق غوستاف دوغا بترجمته إلى اللغة الفرنسية، وطبعه في باريس سنة 1858م<sup>(34)</sup>.

وكانت الجمعية الآسيوية في باريس قد أرسلت إلى الأمير أثناء إقامته في بروسة، وأعلمته أنها قررت قبوله كعضو من أعضائها، وعالم من علمائها، وأنها أضافت اسمه إلى دائرة المعارف، فأراد الأمير أن تكون عضويته فيها قائمة على مساهمة فعلية في المجال فكري لذلك ألف كتابه "ذكرى العاقل وتبئيه الغافل" وأرسله



في حبيب بعد - نحمد له سكرتيرة انجمنه خرسية  
منشوق ترجمة أمينة<sup>(35)</sup>.

وقد ذكر لامب سياست تأليف الكتبات في مصر  
في سنة 1881 م. علمه، تاريخ (كندا) دفتهم "العلماء"  
مصر تحت اسمهم في دسبر العلماء، وخطموني في  
عقيد. في سنة 1881 م. علمه، تاريخ (كندا) دفتهم "العلماء"  
سنة 1881 م. علمه، تاريخ (كندا) دفتهم "العلماء"  
وتبنيه الفاقل<sup>(36)</sup>.

بعد كتاب دكتورى الفاقل وسماه الفاقل اسهام من  
في الابحاث الفلسفية في وقت كانت فيه انحاء معاصرة من  
تعليم، المسلمين لا يخرج عن دائرة الابحاث الدينية و  
وغيرها، ولعل مرد ذلك إلى ميل الأمير إلى مباحث الفلسفة التي  
سما من خلال قراءته لكتيب متصوفة العصر الموحدي  
مصر، والفلسفة تقدمه كتلسم ارسطو وأفلاطون وسفر  
مما يظهر أثره في مباحث الكتبات، وقد راده احتكاكه  
الفرنسيين أثناء اعتقاده بفرنسا، وإطلاعه على تقدمهم المكري  
انفسهم ميلا إلى هذا الاتحاد<sup>(37)</sup>.

ويذكر أن عنوان الكتبات على هدية نفس الأمير أثناء فحمة في  
بروسية عند شايته، وكتب على القلم من مناعته "العلماء"  
كتاب قد حشده باسمه أثناء وجوده في فرنسا، بسبب ذلك





• فكر الأمير من خلال كتاب ذكرى العاقل وتبنيه الفهم  
 - ثم من الموضوعات الكتاب يلتمس أفكار الأمير  
 - مؤثر في حقل موضوعين أساسيين هما العلم والتدين وهذه  
 بمفكر سعادته من : الأمير حولهما ما يلي.

ج ١ - دعوته للاحتهاد ونيل التقليد : دعا الأمير في مقدمته كثر  
 من عمل لعقل وتحريره ، وسد التقليد ومحدثه ، لأن العاقل  
 حقه هو الذي ينظر في الحق ولا ينظر إلى قائله ، فمن كان  
 الحق حقا قلته ، سواء كان قائله معروفا بالحق أو الباطل (١)

والحقيقة في نظر الأمير معيار للناس ، أما الناس فليسوا  
 معيارا للحقيقة ، وإن كان الناس يأخذون بعصمه كمعيار  
 لحقيقة فبقبول كلام من حسن اعتقادهم فيه وإن كان باطلا ،  
 ويردون كلام من ساء اعتقادهم فيه وإن كان حقا ، فإن العاقل هو  
 الذي يعرف الرجال بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال (٢) وفي ذلك  
 دليل ، ولذلك يتمايز الناس في رأي الأمير وينقسمون إلى مراتب  
 فمنهم قسم عالم مسعد لنفسه ومسعد لغيره ، وهو الذي عرف  
 الحق بالدليل لا بالتقليد ، ودعا الناس إلى معرفة الحق بالدليل لا  
 من يتلدور ، وقسم مهلك لنفسه ومهلك لغيره وهو الذي عرف  
 وحساده فيما يعيشون ، وسوء النية ، وسوء النظر بعينه ودعا  
 الناس لتبنيه ، ولا يفرق بينه وبينه ، وسوء النية ، وسوء النظر بعينه ودعا

شہرہ امیر الامیر شہدہ الی ترک تقلید، لان تنقید بحول  
... فہم، لیس الی الحقیقۃ، وذلک لاسہم یکتوبون محققین  
... تنقیدہ رسحب فی قلوبہم، وحمدت عیب فہم  
... امیر التنقید المصیر فی تقلید المشر، فہو حرر ان تنقید  
... ککر صررا من تقلید الناس، وذلک لاختلاف العیب، فی  
... علی العقل ان لا ینع رأی عالم بلا دلیل، بل ینستحدہ  
... عقلیہ للوصول الی الحقیقۃ، فان تعدر علیہ ذلک فعلیہ ان  
... نری لہ یتفق اکثر مع کتاب اللہ<sup>44</sup> فالعقل فی بحر  
... مہما لہ من الشرف فان ہناک علوما لا یصل الیہ الا  
... علوم العلوم العقلیۃ، لان العلوم  
... العلوم الشرعیۃ کالادویۃ، و لیسخص المریض  
... اذا فاته الدواء<sup>45</sup>

لقد عبر الامیر بآرائہ حول الاجتہاد وتحرر العقل من قیود  
... اسلامی سابق لعصرہ، وهو یتفق فی ذلک مع راء  
... الامیر الامیر محمد عبدہ، وان کان سابق لہم، فقد  
... راء تلك سنة 1864، لیما لم تبرر آراء الأفغاسی لا  
... بعدہا<sup>46</sup>

بیان فضل العلم و العلماء: یؤكد الأمير علی فضل تعلم  
... العلم و یقدسہ، بل یرق ان العلم هو



العلم من خلق الإنسان وبه يكون شريعته وكما أنه وبمعرفة  
الإنسان وخاصيته التي يتميز بها عن جميع المخلوقات هي علم  
وبها كماله<sup>47</sup> والعلوم في نظر الأمير تمار العقول، ولا شيء فيها  
من الإنسان الذي وهبه الله القدرة على طلب العلم لتحقيق  
تحصيله، وحرّم نفسه من هذه المضيلة<sup>48</sup>

ويعتبر الأمير العلم مقياساً لتفاضل الناس لأن به كماله  
وحيث أن "كمال كل شيء إنما يكون بظهور خاصيته التي امتزج  
بها عن غيره، ونقصانه هو خفاء تلك الخاصية، فيقدر ظهوره  
"خاصية يطلق عليه اسم الكامل"<sup>49</sup>، ولأن خاصية الإنسان هي  
العلم فإنه "بكمال هذه الخاصية ونقصانها يفاضل الناس بحسب  
معضا"<sup>50</sup> فيكون العلماء العاقلون بذلك أكثر الناس فضلاً لأنهم  
أكثرهم كمالاً.

ج3- دعوته إلى معرفة الله عن طريق العقل: بين الأمير أن كبر  
عبادة من خلق الإنسان هي معرفة الله وعبادته، ولا يعرف الإنسان  
حقيقته إلا بالعقل، والعقل يسمح للإنسان باكتشاف العالم غير  
المرئي إلى جانب العالم المرئي الدنيوي. واستناداً إلى ذلك أقام  
الأمير رايه لقاس يتضمّن الإنسان بالعقل، والمعرفة الإلهامية تنقضي  
حضانة لا تحصل ليها المعرفة العقلية<sup>51</sup> لأن وراء العقل طورا حد  
وأمر آخر، العقل معرّول عنها ولا يحصل اليها بنفسه بل  
بغيره<sup>52</sup>، وهي العلوم التي يأخذها الإنسان عن الأنبياء، ستعلم ما

منه في كتب الله المبررة عليهم. وهي النور : والإنجيل والربور  
من الكريم. وفهم معانيها، وعليه يقسّم لأحد عدد  
فهم عقليه وشرعيه، ولكيه يؤكد العلوم الشرعية لا  
تفهم العلوم لعقلية. إذ كل شيء جاء عن لسان الله تعالى  
ليس لا يحالف لعقول اسليمه، نعم، يكون في شرع لسان  
سنة العقول لمصورها عنه. قد عرفنا طريقه عرفته  
لحق الذي لا ينبغي العدول عنه" (53).

وكما ان المعرفة الالهية المستقاة من كتب الله المبررة على  
بسه تنقل حقائق لا تصل إليها المعرفة العقلية، فان الإنسان لا  
يمرك المعرفة الالهية إلا بأعمال العقل، ولذلك فإن شكلي المعرفة  
مكتملان<sup>٦٠</sup> فلا عيب بالعقل عن العلوم الشرعية، ولا عيب  
عن العقل<sup>(54)</sup>.

وسدراك الأمير لتكامل شكلي المعرفة، يحده يدعو الناس إلى  
أجمع بينهما، لأن من يدعو الناس إلى التقليد المحض مع عقل  
لعقل حده، و المكثفي بمحرد العقل عن العلوم الشرعية معروض  
فإنكم أن تكونوا أحد الضيقين، وتكونوا حامعين بينهما<sup>(55)</sup>.

والأمير يحذر مما وقع فيه علماء فرنسا من نزوع نحو العقل  
العملي، وإهمال لعقل النظري، مما جعلهم يحررون بطور مدد  
كبيراً. ولكيهم لم يتوصلوا إلى الغاية التي خلق الإنسان من



حيثما كانت مستعملة هذه الحجة في  
وصفها وفي معرفتها حقيقة ان هذه الحجة لا  
لأنه من الحكمة وما يشاء من هذه الحجة  
لأنها حارة المرسة التي لا بد من أن لا  
فعلوا سيعمل هذه الحجة التي لا بد من أن لا  
ذكر ولا يعثر عليها في كتابه

لقد خطر الأمير في مسئلة الاستحسان في الروح  
السلامة معتدلة، فحذر من العلم الحجة، ودعا إلى  
في الروح والمادة، لأن نجاح الاستحسان في حجة،  
انما يتم بالتوفيق بين مطالب الروح ومطالب الجسد

#### ج4 دعوته لإصلاح السلوك وتقويم الأخلاق

في الكتاب دعوة أخرى من الأمير للتخلي عن  
الأخلاق، فقد ذكر القوى الأربع التي ان اعتدلت في  
بضوء ضاملا، وهي في خطر الأمير فهو العقل وهو  
السعاسة، وقوة لعمه، وقوة العدل

ومصدر مثل قصيدته يرجع إلى أحد هذه القوى، فعلى  
جميع الأخلاق الضريبة ان اعتدلت في الإنسان، أما إن اعتدلت عن  
الاعتدال، ومالت إلى الإفراط أو التصريح، بحجم عنها مثل ما هو  
ممدود من الصفات<sup>61</sup> ولذلك فإن من جمع بين هذه القوى لا يرب

استحقاقه في نظر الأمير - يحسن بين الحق مطاعا يرجع  
حق كلهم إليه، ويقتدون به<sup>(61)</sup>.

ويذكر حاجيات أن الأمير أضاف قنلا به من غزو من  
مدد لأربعة كلها، وانصف بأصدارها، استحقاق يحرج من من  
بسر ويطرده من البلاد، وهو رأي شديد وعسير خداف من  
كتب المنصور، رغم ورود في الكتاب لمحطوط، وعلى الرغم  
من شدته غلبه بسجهم مع ما عرف به الأمير من تشدد في تطبيق  
مضمون الشريعة، فما كان موقف الأمير بما عرف به من حزم  
صرامة في الحق إلا أن بعض ذلك إراء من انصف بالجهل و  
لعين والفسق والظلم<sup>(62)</sup>.

### ٢- تحديد العلاقة بين الإسلام و الأديان الأخرى

كتب الأمير حول علاقة الإسلام بالمسيحية واليهودية،  
ثم أن محمدا صلى الله عليه وسلم آتم وأكمل ما جاء به عيسى  
عليه السلام، فالدين كله لله، ولا خلاف بين الأنبياء، فجميعهم من  
رسول محمد دعوا الخلق إلى توحيد الله وإلى حفظ الكليات  
التي هي النفس والعقل والسنن والمال<sup>(63)</sup>.

ويعتبر الأمير أن النبوة حكمة، وإن كانت نبوة موسى  
عليه السلام، النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والحروح  
بالحروح، وحكمة عيسى علمية تجردية إذا لم تكن أحوك على

حدث زيمر، فضع له خذك الأسير، "فإن حكمت بعد  
السلام جامعة بينهم لكنه في الحب، فخصص واحد من  
سفره ورصع الحاهلين، ورتعوا قرب سقوف  
لذلك يدعو الأمير إلى الأخوة لأبيه من مسير  
المسيحيين والموسويين، لأن الدين واحد متفق لأبيه،  
احتلموا في بعض لقوا من الحربية، شبه كرحال سوء،  
وأهانهم متعددة<sup>(65)</sup>.

ونعكس قصص الأمير حول لعلاقات الاسلام  
المسيحية، السمع الانانية التي اكتسب من ذلك لحرث من  
معاملته الملاحة للأسرى الشرعيين هذه<sup>(66)</sup>، عندما كان من  
للجهاد أو التي سيجريها بعد وقت قصير من كتابته له  
الكتاب - من مؤلفه الأساسي من المسيحيين في دمشق  
اشتعل سنة 1861، بينهم وبين المسلمين، فقد كتب يقول لو أصغر  
لن المسلمون و الحصارى لرفعت الحلاف بينهم، لصاروا إخوة  
طاهرا واطبا، ولكن لا يصعون إلى<sup>(67)</sup>

ولعن وسيلته إلى ذلك إظهار الحق الذي يحتلمون فيه بالحج  
و الدليل إذ يقول لو خاف من يريد معرفة الحق، وكان يقسم  
لساني فيما كاملا، لاوصلته إلى طريق الحق من غير تعب، لا بل  
يقلدون (صدا)، بل كان يظهر الحق له، حتى يعرف به  
صغرا<sup>(68)</sup>





بالتدوين سبقت غيرها في مجال الحصر والتعداد لاسيما  
الأقوام البدائيون ممن عاشوا في امية وتحلف. فليس له نصيب  
في مزخرة لشعوب. وفي ذلك دعوة من الأمير الى طلب العلم  
للحاق بركب الأمم المتقدمة<sup>(74)</sup>.

وعلى الرغم من نصيح الأمير على العلوم، والاهتمام بالمتن  
ودعوته الى تحرير العقل والإبداع والتجديد وحثه على العلم  
حدد له موقفا غريب من مسألة تعليم النساء الكتاب. حيث  
يقول: "نهى شرع الاسلام عن تعليم النساء الكتاب، لان مرادف  
يمكنها لقاء من تهوى، فتكتب له، فتكون الكتابة  
للفتنة"<sup>(75)</sup>.

وبدو الأمير في رايه هذا متأثر بالتقاليد التي حرمت المرء  
من التعلم، فإساءات إليها وإلى مجتمعها، وعلى الرغم من ذلك  
راء الأمير هذه تصوير لما توصل إليه العقل الشرقي في عباد  
السلطنة في منتصف القرن التاسع عشر من تشبث بالثقافة العربية  
الاسلامية، ومحاولة للخروج من التوقيع والترمت، و التمتع على  
طرا من تقدم الحضارة الإنسانية، للسحاق بركب الأمم  
المتقدمة<sup>(76)</sup>.

### 3. كتاب "المواقف":

يعتبر كتاب "المواقف الروحية و الإلهية السوحيه  
 من أعمال الامير عبد القادر في دمشق، وهو كتاب في التصوف  
 جمع فيه الامير ساح حيرته الطويلة و دراساته ومشاهداته وتملاته  
 طريقة كتابته اورد الشيخ محمد بن محمد الحاي في  
 كتاب مواقف للامير عبد القادر الحنظلي ترجمه و منه  
 الامير<sup>١٤</sup>، وذلك كدليل للموقف ثلاثة وستين وثلاثه، من في  
 هيتب الطريقة التي كتب بها المواقف فقال : وكتب راجعه  
 (امير) كثيرا في بعض مسائل وأسئلة حول بعض مشكلات  
 فتوحات و المصوح و غيرهما، فكثره حبه للخبر وبله مع  
 كثره انشغاله كان يقيد ما ظهر له بالكشف ويوضعه ويعطيه  
 يد، وكنيت حريصا عليه فاقيده في المواقف سديه، كما يشير إلى  
 ذلك قوله في بعض المواقف قد سألني بعض الأحرار و التصريح  
 سمي في شرح فص شعيب وفص اسماعيل وفص ادم عليهم الصلاة  
 والسلام وعليه وجراه الله عني خيرا ما جاز به أحدا عن أحد، فإن  
 تفصلاته على هذا العبد لا تنصط، وكنيت طلت منه شرح حظه  
 لفتوحات وشرح فص ادم فابتدا بهما ولم يتماه (كذا)، فوحدت  
 ما كتبه في كفاشه مع بعض فوائد أخرى ومشرات له من حمتها  
 بعض ما قيده هنا فأحببت تقييدها كالدليل لوفقه خوف صبغها



مستندا ومستنادا منه روحانيته لتسريته فهدى له  
روحه المضيئة

ثم سكن الشيخ محمد الحادي الوحيد الذي استقر في  
المواقف وكتابتها، بل اشترك معه اثنين من علماء دمشق  
الشيخ محمد الطبطبائي<sup>81</sup> . و الشيخ عبد الرزاق البيطار<sup>82</sup>  
فقد بنى حواد لم يحد أن بداية تأليف المواقف تعود إلى أيام لاوي  
من حلول الأمير بدمشق، وبالتحديد إلى الأسبق الثاني من وصوله  
إلى دمشق، حيث تواجد عليه الراترون، ووقع أن أحد رثيه كان  
يصحب له، فقام الأمر واستاد من والده بالإنصاف، وحدث  
الآن الله ملك<sup>83</sup> . فعلق الأمير على هذا الدعاء من الآباء  
بحديث حمل استلهم فيه معنى الآية الصريمة " وهو معكم ايم  
كنتم " <sup>84</sup>

فلم يته الأمر كلامه، رحاه الشيخ محمد الحادي،  
الشيخ عبد الرزاق البيطار و الشيخ محمد الطبطبائي أن يدونوا  
يتكلم به في محاسنه، فكان ذلك نواة كتاب " المواقف " <sup>85</sup>  
ويستخلص مما سبق أن كتاب " المواقف " يتألف من  
بعض كتبتها الأمير نفسه، وذلك مدليل قول محمد الحادي  
هو كتب ما كتبه ( يقصد الأمير ) في كتابته مع بعض فوائده  
أخرى ومبشرات له من حملها ما قيدته بها <sup>86</sup> كما تألف  
الكتاب من بعض أملاها الأمير على تلامذته الثلاثة

في نسخة ٨٥ من تاريخ دمشق ما ذكرناه من نسخة على نسخة طبع

(٨٥)

نسخة ظهرت مع هذه طبعات عديدة لكتاب المرافقة في حياة  
الأمير ثم كثرت نسخها بعد وفاته<sup>٨٦</sup>. وقد تم طبع الكتاب  
في دار الكتب سنة ١٩١١، وأعيد طبعه ثانية سنة ١٩٥٥ عن دار البقعة  
عربية، وهي طبعه بونت ورتن لا اعتماد على نسخة جمال الدين  
نصفي التي كانت بدار الكتب الظاهرية بدمشق، ونسخه عند  
الوراق البيطار وهو أحد تلامذة الأمير الذين دونوا معه المواقف،  
وكانت على نسخة تعاليف بخط الأمير نفسه، وقد قام بمراجعة  
هذه الطبعة وتصحيحها لجنة من علماء دمشق، مما يعطيها قيمة  
علمية من حيث دقة التحقيق، وإن كانت عليها عبارة منقحة.  
وهي عبارة غير صحيحة لأن التحقيق لا يصح إلا على يد المؤلف  
نسخه ٨٧

حرف بعض نسخ المواقف خلال حياة الأمير قبل أسبانه من  
أعمال كتل المواقف، مما يفسد النص الواقع في طبعاتها<sup>٨٨</sup>.  
حيث تألفت طبعة الحرث من ثلاثمائة وثمان وستين موقفاً،  
حيث تألفت طبعة دمشق من ثلاثمائة واثنين وسبعين موقفاً<sup>٨٩</sup>

ج- العنوان الكامل للكتاب يوضح أكثر من عنوان -  
المواقف، وقد حملت طبعة دمشق التي صدرت سنة ١٩٧٦ م  
كتاب المواقف في التصوف والوخط والارتداد<sup>٩١</sup>

يبدو أن الأمير عبد القادر اختار لكتابه "المواقف"  
المواقف، ولكنه لم يصل إلى المواقف ستون وثلاثمائة، ورد عليه  
إلهام بن يزيد في العنوان، فقال: "قل الله تعالى، الر، تلك بين  
الكتاب وقرآن مكي قيل لي رد في تسعة كتبك بالموقف في  
بعض إشارات القرآن والأسرار والمعارف"<sup>٩٢</sup>

لذلك فإن العنوان لكامل للكتاب هو "المواقف الروحية  
في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف والإلقاءات  
المصبوحة"، وهو العنوان الذي حملته طبعة الجزائر التي صدرت  
سنة ١٩٩٥، وهي عبارة عن نسخة طبق الأصل عن النسخة الأصلية  
المحمولة بالمكتبة الوطنية الجزائرية<sup>٩٣</sup>.

ولم يقدم الأمير عبد القادر شرحاً لكلمة "مواقف"، إلا  
أنه من المرجح أنه اختار عنوان: "المواقف" لكتابه تأسيساً بغيره من  
فطاب الصوفية الذين ألفوا كتباً بهذا العنوان، وأهمهم: محمد بن  
عبد الجبار بن الحسن البصري صاحب كتاب المواقف المتوفى في  
قرن العاشر الميلادي، خاصة إذا علمنا أن ابن عربي الشيخ  
الأفكر للأمير قد تحدث عنه مرات عديدة في فتوحاته<sup>٩٤</sup>.





وظواهر النقول خارجة عن أنواع الاكتساب والنظر في كتاب  
قيدها لإخواننا الذين يؤمنون بآياتنا إذا لم يصلوا إلى اقتطاع  
أثمارها تركوها في زوايا إمكانها (كذا) إلى أن يبلغوا أشدهم  
ويستخرجوا كنزهم<sup>(97)</sup>.

ونستخلص مما سبق أن الأمير كتب المواقف لإخوان  
الصوفية أو الذين لهم استعدادات صوفية، من المؤمنين مثله بمبادئ  
أهل الباطن من ذوي اللقاءات السبوحية و العلوم الوهبية و الأسرار  
الغيبية<sup>(98)</sup>، أما من هم دونهم ممن يسميهم "علماء الرسم القانعين  
من العلم بالاسم"<sup>(99)</sup>، الذي ينكرون عليه ذلك ويعتبرونه من  
الأساطير، فإن الأمير لا يأبه لهم، وإنما ينصحهم أن يتركوا مواقفه  
في زاوية حتى يبلغوا أشدهم في طريق العلم الصوفي فيعرفوا كيف  
يستخرجوا كنزهم العظيم منها<sup>(100)</sup>، وإلى أن يبلغوا ذلك فإن  
الأمير يبدو مشفقا عليهم، عاذرا لهم، حيث يقول: "ولا نجاد لهم بل  
نرحمهم ونستغفر لهم، ونقيم لهم العذر من أنفسنا في إنكارهم، إذ  
جتاهم بأمر مخالف لما تلقوه من مشايخهم المتقدمين، وما سمعوه  
من آياتهم الأولين، فالأمر عظيم والخطب جسيم، والعقل عقال  
والقليد وبال، فلا عاصم إلا من رحم ربي"<sup>(101)</sup>.

وكان دافع الأمير لكتابة المواقف إكباره للشيخ محيي  
الدين ابن عربي، وغرامه بمشربه العرفاني، فقد مثل - في  
اعتقاده - أعلى مناهل المعرفة الإحسانية في الإسلام، وكرس

جهد في دمشق لنشر معارف شيخه الأكبر، فانكب على شرح المفاهيم العرفانية كما وردت في أهم كتب ابن عربي وخصوصاً الفتوحات المكية وخصوص الحكم والتجليات (102).

وعبر الأمير في المواقف عن عظيم إجلاله لابن عربي، حيث وصفه بأنه خاتم الورثة المحمديين، وإمام العالمين بالله تعالى ورسوله، وإمام المكاشفين من الأولياء وإمام المحققين، وظل على إجلاله حتى وافته منيته، حيث أوصى بأن يدفن بجانب شيخه ابن عربي في الصالحية بدمشق فدفن هناك (103).

د- تصنيف المواقف وعرضها: يمكن تصنيف مواقف الأمير إلى الأصناف التالية:

- 1- المواقف التي تشرح آيات قرآنية، وأحياناً سوراً كاملة من القرآن، كسورة التكويد (موقف 291)، وسورة الشمس (موقف 86)، وسورة الفاتحة (مواقف 14، 59...)، والناس (موقف 175).
- 2- المواقف التي تشرح أحاديث نبوية أو قدسية.
- 3- المواقف التي تجيب عن أسئلة تتعلق بكتاب "الفتوحات المكية" لمحيي الدين ابن عربي.
- 4- المواقف التي تشرح بعض الأبواب من كتاب "فصوص الحكم" لابن عربي، كفصوص لقمان (موقف 294)، وفصوص إسماعيل (موقف 355)، وفصوص شعيب (موقف 358)، وفصوص آدم (موقف 367).



الطبعة ١٤٣٥ هـ

# مؤلية المورخ

مجلة دورية محكمة يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين



العدد: 9 - 10

الطبعة الأولى 2010

ISSN 1112-4253

رقم الإيداع 771-2003

طبع بدار غرناطة للنشر والتوزيع  
S6، نهج عبد الرحمن ميرة باب الوادي الجزائر  
الهاتف : +213 (0) 21 96 26 64  
الفاكس : +213 (0) 21 97 75 51  
email : editionsghamata@hotmail.fr